

Diala University

جامعة ديالى

The Colleg Of Islamic Seienes

كلية العلوم الاسلامية

The Department of Al-Sharia

قسم الشريعة

**اقتران جواب بينا وبينما باذ وإذا عند ابن الجوزي في كتابه تقويم اللسان
دراسة نحوية مقارنة بين منهج اللغويين والمحدثين**

Coupling the answer

of whereas and while with the answer of as and if in the

book of Ibn Al-Jawzi(H-597) Taqweem Allisan

**A Grammatical comparative Study between the
grammarians and the narrators "**

بحث تقدم به أ.م.د. حسين كاظم السعدي

Arsearch Presented by A.M.Dr-Hussien Kadhim

Hussien Al-Saady

٢٠١٦م

(A-2016)

١٤٣٨هـ

(H-1438)

مخلص البحث

الشيخ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) من العلماء الذين كانت لهم وقفات في ما عُرف في اللغة بلحن العوام بالتصويب والتصحيح اللغوي، وهو انحراف عن منطق اللغة السليمة الذي سُمِعَ من كلام العرب الفصحاء الذين سَلِمَت لغتهم من اللحن والعجمة، فأراد من كتابه أن يقف عند هذه الانحرافات التي نطق بها العرب، فبيّن الصواب الذي روي عن العرب، وأشار إلى بيان اللحن "بقول العامة"، وقد وقفت على بعض أقواله التي رأيتها فيها أنه قد جَانَبَ الصواب، واخترت منها واحدة، وهي مسألة اقتران جواب بـ"بينما" و"بينما" بـ"إذا" و"إذا"، ورأيت فيها أنها تستحق الوقوف عندها ملياً بالرد والتعقيب، إذ إنه لم يكن موفقاً في منعه اقتران جواب "إذا" و"إذا" بهما، ووصفه هذا الأسلوب أنه من قول العامة بل إنه من الفصيح الذي روي عن من يُحْتَجُّ بكلامهم من الفصحاء الذين عاشوا في عصور الاحتجاج اللغوي فلا مسوغ لما قاله سوى أنه أذعن لقول اللغويين الذين حكّموا المقاييس ولم يحكّموا السماع، وهو الأساس المتين الذي يبني اللغويون عليه أحكامهم وقواعدهم في اللغة، ولم يقفوا على الموروث اللغوي، فلم يحيطوا به إحاطة كاملة، فلهذا جاءت أحكامهم مضطربة وغير دقيقة ومنقوصة في بعض المواطن فقد رتب كتابه على حروف المعجم الألفاظ، وذكر التراكيب النحوية التي رأى فيها أنها من قول العوام، والتي جاءت من اختلاطهم بالأقوام التي دخلت الاسلام من غير العرب، ويعدّ العامل الرئيس لظهور اللحن، فجاء هذا البحث اليسير جزءاً من هذه الردود والتعليقات، وقد أثبت البحث صحة استعمال هذا التركيب اللغوي وفصاحته لأنها رويت عمّن يعتدّ بكلامهم من الفصحاء والشعراء ممن عاشوا في عصور الاحتجاج اللغوي، فتناولت مسألة واحدة منها مما رأيت أن ابن الجوزي قد غالى في ردّها وأنكر فصاحتها، وعدّها من قول العامة، لكنها فصيحة، وهذا الموقف منه تطلب منا الرد عليه، وبيان أن هذه الألفاظ والتراكيب لا يمكن عدّها من قول العامة، بل هو من الفصيح الذي جاء عن أفصح من نطق بالضاد إمام الفصحاء والبلغاء الصادق الأمين ﷺ، وجاء عن من سمعه من الصحابة الكرام ﷺ الذين نقلوا ما سعموا، وعن من سمع منهم من التابعين ﷺ الذين اشتهر كثير منهم بالفصاحة لخلو ألسنتهم من اللحن والعجمة قبل فساد اللغة. مفتاح البحث (ابن الجوزي)

اقتران جواب "بيننا" أو "بينما" "بإذ" أو "إذا"

من هذه التراكيب النحويّة، أو الألفاظ التي ذكرها الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي المعروف بابن الجوزي (٥٩٧هـ) وعدّها في كتابه "تقويم اللسان" من قول العامة إذ وقفت في باب حرف الباء عند كلمة "بيننا"، وهي ظرف مكان أو زمان، وتقترن في جوابها "إذ" أو "إذا"، وهما حرفان يدلان على المفاجأة كقولنا: بيننا أنا قائم إذ جاء زيد، أو: إذا جاء زيد، وتقدير الكلام: بينا أثناء وقت من الأوقات جاء زيد، وأصل "بيننا" هو "بين"، فأشعبت الفتحة ألفاً، وقيل: إنّ أصلها: "بينما"، وحذفت منها الميم تخفيفاً وعدّه من قول العامة، إذ قال: (وتقول: "بيننا أنا جالس جاء عمرو"، والعامة تقول: "بيننا أنا جالس إذ جاء عمرو"، وليس لدخول "إذ" هاهنا معنى، وإن كانت قد جاءت في أحاديث لكنّها محمولة على أنّها من الرواة، وقد أجازوا ذلك في :

استَقْدِرَ اللهُ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ... فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ^(١)

واعتذروا بأنّ "ما" ضُمت إلى "بين" فغيّرت حكمها، كما أنّ "رُبَّ"، لا يليها إلا الاسم فلما زيدت فيها "ما" وليها الفعل^(٢)، وإلى هذا ذهب الحريري (٥١٦هـ) إذ قال: (والمسموع عن العرب: بيننا زيد قام جاء عمرو، بلا إذ)^(٣)، واحتجّ بما رواه الآمدي (٣٧٠هـ) عن أبي عثمان المازني (٢٤٩هـ)، إذ قال: (حضرت أنا ويعقوب بن السكيت مجلس محمد ابن عبد الملك الزيات... قلت: كان الأصمعي يقول: بيننا أنا جالس إذ جاء عمرو، مُحَالٌ، فقال ابن السكيت: أهذا كلام الناس؟، قال: فأخذت في مُناظرته عليه وإيضاح المعنى له، فقال لي محمد ابن عبد الملك: دعني حتى أبين له ما اشتبه عليه، ثمّ التفت إليه، وقال له: ما معنى "بيننا" فقال: حين، قال: أفيجوز أن يقال: حين جلس زيد إذ جاء عمرو، فسكت، فهذا حكم بينا)^(٤)، وهو ما ذهب إليه الصفي^(٥)، وهو ما ذهب إليه من قبل أبو عمرو ابن العلاء (١٥٦هـ)، فيما رواه عنه الأصمعي (٢١٦هـ)^(٦)، وهو ما ذهب إليه الأصمعي نفسه، ووصف أنّ هذا التركيب من المحال، وروي عنه أنّه قال: (ليس من كلام العرب أن يقال: بيننا كذا إذ كان كذا)^(٧)، وفي هذا نظر، إذ روي عنه أنّه قد تكلم بهذا التركيب إذ قال الأصمعي: (بيننا أنا في طريق مكة، ومعي أصحابي إذ مرّ بنا أعرابي)^(٨)، ومنه قوله أيضاً: (دخلت على هارون الرشيد... قلت نعم يا أمير المؤمنين: بيننا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح إذ أنا بأعرابي)^(٩)، ومنه قوله أيضاً: (بيننا

أَنَا سَائِرٌ بِالْفَيْفَاءِ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا^(١٠)، والأعرب من هذا كله أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ يَنْقُلُ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهَذَا الَّذِي نَفَاهُ أَنْ يَكُونَ مَسْمُوعًا عَنِ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ، إِذْ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: (سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا أَدُورُ فِي الْبَرَارِيِّ إِذَا أَنَا بِصَوْتِ)^(١١)، وهاهنا اقترن جوابها بإذا، وصرح الأصمعيُّ بسماعه من شيخه، وهذه أول أدلة اللغة: وهو السماع من الأعرب، وعليه بنى اللغويون قواعد اللغة وأصولها، وينقل أيضا عن غيره، ومنه قوله: (عَنْ إِبَانَ بْنِ تَغْلَبَ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ بِالْبَادِيَةِ فَخَرَجْتُ فِي اللَّيَالِي الظُّلُمِ فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ)^(١٢)، ومنه قول الأصمعيِّ: (وَصَدَقَ الْفَرَزْدَقُ بَيْنَا النَّابِغَةَ فِي كَلَامٍ أَسْهَلُ مِنَ الزَّلَالِ، وَأَشَدُّ مِنَ الصَّخْرِ، إِذْ لَانَ)^(١٣)، ومنه قول زهير بن أبي سلمى برواية الأصمعيِّ له، إذ قال:

بَيْنَا كَذَلِكَ وَالْأَعْدَاءُ وَجْهَتْهَا... إِذْ رَاعَهَا لَحْفِيفٌ خَلَفَهَا فَرَعُ^(١٤)

فتبين لي أَنَّ ما نقله عن أبي عمرو بن العلاء خبرٌ يحتاجُ الى توثيق ما نفاه بأدلة كثيرة تعادلها قوة في النقل والسماع عن الفصحاء من العرب، أو أَنَّ الخبرَ غيرُ دقيقٍ تبطله الأدلة التي ذكرناها وما سوف نذكره، والتي دلت على صحة استعمال هذا التركيب اللغوي، وأنَّ ما وصفه الأصمعيُّ أَنَّهُ محالٌ في كلام العرب كلامٌ لا يمتُّ الى اللغة بصلة، وغير دقيق وَأَنَّهُ غيرُ موافقٍ لما استعمله هو لهذا التركيب، وأنَّ السماع يدحضه، والذي روي هذا التركيب أيضا عن اللغويين الثقات كأبي زيد الأنصاري الناقلين لكلام العرب، قال الخطيب (٤٦٣ هـ) عنه: (وَكَانَ ثِقَةً ثَبَاتًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ... عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازِنِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي زَيْدٍ، فَجَاءَ الْأَصْمَعِيُّ، فَأَكْبَبَ عَلَى رَأْسِهِ وَجَلَسَ وَقَالَ: هَذَا عَالِمُنَا وَمُعَلِّمُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ)^(١٥)، وهاهنا في هذا الخبر أيضا حجة عليه، إذ استعمل أبو عثمان المازني لفظة بينا مقرونة بإذ، وهذا من الغريب جداً أَنَّ اللغويين ينبّهون على استعمال لغوي غير فصيح، ويروى عنهم استعماله في كلامهم، ولا يمكن وصف هذا التركيب أَنَّهُ محالٌ في كلام العرب، وقد روي هذا عن مَنْ عُرِفُوا بالثقة في النقل عن العرب، فمنه قول أبي زيد (٢١٥ هـ): (بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ أَعْرَابِي)^(١٦)، وقال أبو علي القالي (٣٥٦ هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ: أَنْشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ:

خِلْتُهُ مِثْلَ الْخِضَابِ الَّذِي...بَيْنَا تَرَاهُ قَانِيَا إِذْ نَضَا^(١٧)

ومنه قول ميمون بن حفص النحوي: (بَيْنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ بِالشَّامِ يُقَلِّبُ أَحْجَاراً إِذْ قَرَعَ)^(١٨)، وقال العسكري (٣٨٢هـ): (وَأَخْبَرَنَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: بَيْنَا الْأَحْنَفُ فِي الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ لَطَمَهُ)^(١٩)، وفضلاً على هذا فقد رُويَ عن الفصحاء الذين لا يُشكُّ في فصاحتهم كالحسن البصري (١١٠هـ) والحجاج بن يوسف الثقفي (٩٥هـ)، وقال فيهما أبو عمرو بن العلاء: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالْحَجَّاجِ)^(٢٠)، فكيف لا يحتج بكلامهم؟، ومنه قول الحسن: (بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذَا أَنَا بِعَجُوزٍ)^(٢١)، ومنه قول الحجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص (٨٣هـ): (بَيْنَا أَنْتَ يَاطْلُ الشَّيْطَانِ أَشَدُّ النَّاسِ كِبَرًا إِذْ صِرْتَ)^(٢٢)، ومن هؤلاء عمر بن أبي ربيعة (٩٣هـ)، ولا يشك اثنان في فصاحته، إذ قال: (بَيْنَا أَنَا خَارِجٌ مُحْرِمًا، إِذْ أَتَيْتَنِي جَارِيَةٌ)^(٢٣)، ومنه قول كثير عزة (١٠٥هـ) عندما دخل على عبد الملك (٨٦هـ) فقال له: (بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي بَعْضِ الْفَلَوَاتِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ)^(٢٤)، ومن الشعر الفصيح ما يردُّ قول اللغويين الذين أنكروا هذا التركيب، فمنه قول المرقش الأصغر الشاعر الجاهلي:

بَيْنَا أَخُو نِعْمَةٍ إِذَا ذَهَبَتْ...وَحُوِّلَتْ شِقْوَةٌ إِلَى نَعِيمٍ

وبَيْنَا ظَاعِنٌ ذُو شِقَّةٍ...إِذْ حَلَّ رَحْلاً وَإِذْ خَفَّ الْمُقِيمُ^(٢٥)

وها هنا استعمل الشاعر الأداتين في جواب "بيننا"، وأعني "إِذَا" و"إِذَا"، وفي هذا ردُّ على بعض النحويين الذين خصُّوا جواب "بيننا" بـ"إِذَا" من دون "إِذَا"، ومنه قول: الحُرْقَةُ بِنْتِ النعمان بن المنذر: (٢٦)

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا...إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَنْتَصِفُ

ومنه قول الشاعر حميد الأرقط: (٢٧)

بَيْنَا الْفَتَى يَخْبِطُ فِي غَيْسَاتِهِ...إِذْ انْتَمَى الدَّهْرُ إِلَى عِفْرَاتِهِ

ومنه قول عدي بن الرقاع: (٢٨)

وَقَدْ أَرَانِي بِهَا فِي عَيْشَةٍ عَجَبٍ...وَالدَّهْرُ بَيْنَا لَهُ حَالٌ إِذْ انْقَلَبَا

ومنه قول عدي بن زيد العبادي: (٢٩)

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ النُّعْمَانِ عَنِّي...فَبَيْنَا الْمَرْءُ أَعَزُّ إِذْ أَرَا حَا

ومنه قول كعب بن زهير: (٣٠)

كَالْغُصْنِ بَيْنَا تَرَاهُ نَاعِمًا هَدْبًا... إِذْ هَاجَ وَانْحَتَ عَنْ أَفْنَانِهِ الْوَرَقُ

ومنه قول القطامي: (٣١)

فَبَيْنَا عُمَيْرٌ طَامَحُ الطَّرْفِ يَبْتَغِي... عُبَادَةَ إِذْ وَاجَهْتَ أَصْحَمَ ذَا خَثَرِ

ومنه قول حسان بن ثابت: (٣٢)

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ الثَّوْرِ إِذْ غَدَا... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة: (٣٣)

بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ عَجَاجَةٌ مُوَكَّبٍ... رَفَعُوا ذَمِيلَ الْعَيْسِ بِالصَّخْرَاءِ

وَقَالَ وَبَرَّةُ السَّارِقِ: (٣٤)

بَيْنَا أَنْازَرَهُمْ تَوْبِي وَأَجَدَهُمْ... إِذَا بَنُو صُحُفٍ بِالْحَقِّ قَدْ وَرَدُوا

وقال ابن عبد الأسد: (٣٥)

بَيْنَا هُمْ بِالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا... يَوْمًا بِحَيْثُ يُنْزَعُ الذُّبْحُ

فَإِذَا ابْنُ بَشْرِ فِي مَوَاكِبِهِ ... تَهْوِي بِهِ خَطَّارَةٌ سُرْحُ

وفي هذه الأبيات دلالة ظاهرة لاتقبل التأويل، فهؤلاء شعراء معدودون بمقاييس اللغويين والنحويين ممن يعتد بشعرهم في قواعد اللغة، وقد تقدم آنفاً قول الأصمعي، وفيه رد على ابن الجوزي، وعلى غيره من اللغويين الذين قالوا إن "بيناً" لايجوز أن يقترن جوابها بإذا أو إذ، ولا يليها إلا جملة فعلية، وهنا جاء جوابها جملة اسمية، وإذا هنا حرف مفاجأة، فيصح دخوله عليها وليس ظرفاً، وإن "بينما" تغير حكمها لاتصال "ما" الزائدة بها، فهيأتها للدخول على الجملة الفعلية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد وردت أحاديث نبوية كُثرت كثرة بالغة في هذا البحث لم يقترن جوابها بجملة فعلية في جواب "بيناً" أو "بينما"، وفي هذا دليل على أن اللغويين لم يُحيطوا باللغة إحاطةً كاملةً، فجاءت أحكامهم مضطربةً، وفي هذا يقول الدكتور خليل بنیان الحسون في معرض رده على الحريري الذي أنكر هذا التركيب اللغوي: (وليس وقوع "إذ" بعد "بيناً" مقتصراً على الشعر ليحمل على الضرورة، وإن كان ما استدلل به الحريري بيتاً من الشعر، فقد جاء ذلك في نصوصٍ نثرية... هذا كله يُبطل ما رده الحريري مستدلاً بشاهدٍ واحدٍ، وهو قول أبي ذؤيب الهذلي، أمّا قوله: "والمسموع

عن العرب :بَيْنَا زَيْدٌ قَامَ جَاءَ عَمْرُو،بلا إذ"،فإنَّما يشي بقصورٍ في سماعِهِ،ودالٍ على إقدامِهِ على الحكم بما يترأى له مِنْ قَبْلِ التَّنَبُّهِ والتَّوَقُّعِ(٣٦).

وأما الشواهدُ النَّثرِيَّةُ الفَصِيحَةُ من كلامِ النَّبِيِّ ﷺ، وكلامِ الصَّحَابَةِ ﷺ، وكلامِ أَهْلِ الْبَيْتِ "عليهم السلام" لاسيما كلامُ أميرِ الْبُلْغَاءِ والفصحاءِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ ﷺ، وكلامِ التَّابِعِينَ وتَابِعِيهِمْ "رحمهم الله تعالى"، فيضيقُ الْبَحْثُ بذكرِها، ولو أردتُ جَمْعَهَا لاحتجْتُ إلى عَشْرَاتِ الْأَوْرَاقِ، ولَكُنْتُ سَأَذْكَرُ بَعْضًا مِنْهَا مِمَّا اتَّفَقَ الْإِمَامَانِ الْبَخَارِيُّ (٢٦٥هـ) ومُسْلِمٌ (٢٦١هـ) على إخراجِها، لأنَّ أَحَادِيثَهُمَا مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَقْلِ الْعَدُولِ الضَّابِطِينَ، وعلى بعضِ كُتُبِ السَّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ الْمَشْهُورَةِ، وسأذكرُ أَسانيدَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ لِكِي نَرَى حَرَصَ أَوْلَئِكَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى الْعَنَائَةِ بِالرَّوَايَةِ، وَعَنَائَتِهِمْ بِذِكْرِ الْأَفَاضَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَا مَنَاصَ مِنْ قَبُولِهَا وَالِاحْتِجَاجِ بِهَا عَلَى مَا نَحْوِ أَشَارَ إِلَيْهِ النَّحْوِيُّونَ (٣٧)، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ "رحمه الله": (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لَعَلَّهُ قَالَ: عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ" (٣٨)، وَقَالَ مُسْلِمٌ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، إِذْ نَزَلَ" (٣٩)، وَقَالَ مُسْلِمٌ: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، أَخْبَرَنَا الْمُخْتَارُ بْنُ قُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى" (٤٠).

وهاهنا أمر من الجدير بالإشارة إليه، وهو أَنَّ الْإِمَامَ مُسْلِمَ قَدْ ذَكَرَ لَنَا طَرِيقَيْنِ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى دَقَّةِ الْمُحَدِّثِينَ وَتَحَوُّطِهِمْ فِي الرِّوَايَةِ عَنِ الرِّوَاةِ وَهَذَا لَا نَجْدُهُ جَلِيًّا عِنْدَ اللَّغَوِيِّينَ، وَالْأَمْرُ الْآخَرُ هُوَ أَنَّ الرِّوَاةَ فِي الرِّوَاةَيْنِ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى ذِكْرِ لَفْظَةِ "بَيْنَا" مَقْرُونَةً "بِإِذْ"، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَصَرَّفُوا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ لَمْ يَكُونُوا عَالَمِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ؟ بَلَى كَانُوا عَالَمِينَ، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّهُمْ غَيْرُ عَالَمِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، فَهَمَّ نَقَلُوا لَنَا مَا

سمعوا فلم يتصرفوا فيه بزيادة أو نقص، بل هو من قول النبي ﷺ، أو من قول الصحابة وليس على نحو ما أشار إليه ابن الجوزي، وتبعه من اللغويين كأبي البقاء الكفوي أنه من تغيير الرواة^(٤١)، وهذا من أقوى الأدلة والشواهد على أن الرواة قد نقلوا لنا في غالب الظن الحديث باللفظ لا بالمعنى، وهذا ما يدفع ويدحض دعوى ابن الجوزي عدم الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، ونظير هذا قول مسلم: (حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حَجَّاجِ الصَّوَّافِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ")^(٤٢)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: "أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَطَاءِ بْنِ أَبِي الْخُوَارِ، أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ مَعَ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، إِذْ مَرَّ بِهِمْ")^(٤٣)، إِذْ صَرَّحَ الزَّهْرِيُّ (١٢٤هـ) بالتحديث، فلم يتصرف فيه بزيادة أو نقصان، فأدى ألفاظ الحديث على نحو ما سمعته، وقال أيضاً: (وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَالِمٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ قَدِمَتْ عِيرٌ")^(٤٤)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ")^(٤٥)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ إِذْ جَاءَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ")^(٤٦)، وقال أيضاً: (وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَتَتْهُ")^(٤٧)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، أَدَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: "أَنَا كُنْتُ أَخْذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ")^(٤٨)، وقال مسلم: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى النَّمِيمِيُّ أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ الْمَاجِشُونِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ" ^(٤٩)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ خَرَجَ" ^(٥٠)، وقال أيضا: (حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو هِشَامٍ يَعْنِي الْمُغِيرَةَ بْنَ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: "بَيْنَا أَبُو بَكْرٍ قَاعِدٌ وَعُمَرُ مَعَهُ، إِذْ أَتَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" ^(٥١)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ النَّقَّافِيُّ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ يُحْنَسَ، مَوْلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ إِذْ عَرَضَ" ^(٥٢)، وقال أيضا: (حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا" ^(٥٣)، وقال أيضا: (حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ" ^(٥٤)).

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله: (قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ قَالَ ﷺ: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ" ^(٥٥)، وهاهنا نكتة لطيفة هي أنه ورد في سياق الحديث النبوي الشريف استعمال "إِذْ" و"إِذَا" للدلالة على المفاجأة في سياق واحد، وقال البخاري: (حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْهَا قَالَتْ: "بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، مُضْطَجِعَةً فِي حَمِيصَةٍ، إِذْ حِضْتُ" ^(٥٦)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ" ^(٥٧)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "بَيْنَا النَّاسُ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، إِذْ جَاءَ جَاءٌ" ^(٥٨)، وهذه رواية أخرى، ولكن رواه مختلفون عن الحديث الأول، لكنهم متفقون في

أداء اللفظ عن ابن عمر رضي الله عنهما الذين رواوا عنه هذه الرواية، فلم يغيروا ما سمعوه بزيادة "بيننا" مقرونا جوابها بـ "إذ" على حد قول ابن الجوزي في إحدى الرواتين، بل اتفقوا عليها في الرواتين، وهذا يدحض دعواه الزيادة من قبل الرواة، وهذه رواية أخرى تؤكد اتفاق الرواة على هذه الزيادة، فلم ينفرد هؤلاء عن بقية الرواة بذكر هذه الزيادة، فتبين أنها ليست من قبل الرواة، وفي هذا دلالة على صحة هذا التركيب النحوي، وأنه من كلام العرب الفصيح، وقال البخاري: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: "بَيْنَا النَّاسُ فِي الصُّبْحِ بَقَاءً، إِذْ جَاءَهُمْ رَجُلٌ")^(٥٩)، وهذه رواية ثالثة تؤكد على أن هذه اللفظة ليست من تصرف الرواة، وقال البخاري: (حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَاجِدٌ قَالَ:....عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ")^(٦٠)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ وَقَفَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ")^(٦١)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ وَقَفَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ")^(٦٢)، وهذه رواية أخرى تؤكد اتفاقهم على أن هذه الزيادة ليست من تلقاء أنفسهم، بل هي مما نُقِلَ سماعاً من صاحبه، وليس تصرفاً منهم في ألفاظ السياق، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ")^(٦٣)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ")^(٦٤)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ الْحَدَثَانِ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ مَالِكٌ: "بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ، إِذَا رَسُولُ عُمَرَ")^(٦٥)، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ

أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ" ^(٦٦).

وهاهنا أمرٌ من الجدير بالإشارة إليه هو أَنَّ الحديثَ النبويَّ الشريفَ قد وردت فيه كلمة "بيننا" مرتين، فمرةً كان الجواب بـ "إِذَا"، ومرةً بـ "إِذَا"، وكلاهما حرفان يفيدان معنى المفاجأة، وهذا يدلنا على أَنَّ الرواة لم يغيروا الألفاظ من تلقاء أنفسهم، بل أدوا اللفظ على نحو ما سعموه من غير زيادةٍ ولا نقصٍ، ولو كان هذا من تصرف الرواة لجاء الجواب بإحدى الأداتين لتساويهما في الدلالة، وهذا أمرٌ يُظهرُ لنا مدى أمانة الرواة في النقل عن مَنْ سَمِعُوا منهم، وهذا ردٌّ واضحٌ وجليٌّ على ابن الجوزيِّ وغيره من اللغويين الذين عزوا ذلك إلى أَنَّهُ من زيادات الرواة، بل إِنَّ جَلَّ هؤلاء الرواة هم من الفصحاء كالإمام الزهريِّ (١٠٤هـ) ومالك (١٧٩هـ)، وسالم بن عبدالله رضي الله عنه وغيرهم من الرواة الذين عاشوا في عصور الاحتجاج اللغوي، وقد دُوِّنَتْ هذه الأقوال قبل فساد اللغة، وتفشي العجمة وكلام المولدين، فلا مسوغ لما قاله ابنُ الجوزيِّ سوى أَنَّهُ كان أسيرًا للمنطق والتشدد الذي أسسَهُ بعض اللغويين كالأصمعيِّ بعيداً عن الواقع اللغويِّ الذي يقوم على السماع، وليس القياس بالدرجة الأولى، وليس على رفض ما ثبت نقلُهُ الأمانة عن الثقات كالإمام مالك رضي الله عنه الذي عاش في تلك العصور، والذي كتب كتابه "الموطأ" في تلك المدة، فغالب الظن أَنَّ هذه الألفاظ هي من قول الرسول ﷺ، وكلام الصحابة، وكلام التابعين رضي الله عنهم، والذين نقلوا عنهم أيضاً كانوا من الثقة والأمانة بمكان كالإمامين البخاريِّ ومسلمٍ "رحمهما الله تعالى".

المنطق السليم للغة أَنْ يقومَ على قبولِ ما سَمِعَ، والاذعانِ والتسليم له، ولا سيما إِذَا كان النقل عن أناسٍ تحروا في نقله أقصى درجات الحيطة والحذر، وتحرزوا من النقل عن المشهورين بالكذب وعدم الضبط وقلة المروءة، وغيرها من الشروط التي لم تكن متوافرة في رواة اللغة، وهذا الفرق في المروي بين الرواة من أهل الحديث، والرواة من أهل اللغة، فما قاله ابن الجوزيُّ من أَنَّ الأحاديث الكثيرة التي وردت فيها لفظة "بيننا" مقترنة بـ "إِذَا" أو "إِذَا" من تغيير الرواة أمرٌ يدحضُهُ سياقُ هذه الأحاديث الكثيرة الصحيحة الثابتة عن مَنْ لا ينطق عن الهوى، وعن مَنْ اشتهروا بالفصاحة، والتي

لا يمكن أن يتوافق أصحابها على مثل هذه الزيادة لو كانت لحنًا، أو كانت خروجًا عن كلام العرب، فرواؤه كثر ومختلفون من حديث إلى آخر، فكيف يتأتى لهم الاتفاق على هذا اللفظ؟ فلم يكن محظ صفة، فهل نستطيع القول إنه كلهم قد وقعوا في اللحن من أثر العجمة؟، وهذا شيء لا يتفق عليه اثنان، والغريب في هذا أن ابن الجوزي ممن اشتغلوا بعلم الحديث النبوي الشريف رواية ودراية، ويعرف أكثر من غيره ما صفات الرواة للحديث النبوي الشريف، وكيف تشدد الناقلون عنهم كل هذا التشدد والتحري أكثر مما تشدد فيه اللغويون في النقل عن الرواة من أهل اللغة من الأعراب وغيره؟.

ومن هذا ما رواه البخاري، إذ قال: (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "بَيْنَا امْرَأَةٌ تَرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا" ^(٦٧))، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا" ^(٦٨))، وقال أيضا: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخْبَرَنَا سَعْدُ الطَّائِي أَيْ أَخْبَرَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ" ^(٦٩)) وقال أيضا: (حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الْعِشَاءَ، إِذْ قَالَ" ^(٧٠))، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، وَهَشَامٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ: "بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ" ^(٧١))، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عُلْفَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ" ^(٧٢))، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ" ^(٧٣))، وقال أيضا: (حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي

بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ" ^(٧٤)، وقال الإمام أحمد (٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْحَارِثِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ" ^(٧٥)، وهذه ثلاث روايات متفقة على ذكر لفظة "بيننا" مقترنة بجوابها بإذ، فهي تدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ هذا أسلوب عربي فصيح رداً على ابن الجوزي التي لم تغب عنه كثرة هذه الشواهد الصحيحة والصريحة الثابتة، لأنه قد اشتغل بعلم الحديث النبوي الشريف درايةً وروايةً وشرحاً وتعليقاً، والتي لم تخرج عن كلام العرب فكيف يسوغ لابن الجوزي وغيره من اللغويين أن يصفوا هذا التركيب اللغوي أنه من قول العامة، أو أن الأفصح خلوه من "إذ" أو "إذا"، فهؤلاء على أقل تقدير أن جُلُّهم ممن عاش في عصور الاحتجاج اللغوي.

وقال البخاري: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ" ^(٧٦)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أَتَى بِجُمَارٍ نَخْلَةٍ" ^(٧٧)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ" ^(٧٨)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ... وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةً، إِذْ أَتَى" ^(٧٩)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِرَامِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا هَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا رُزْمَةٌ" ^(٨٠)، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ" ^(٨١)، وفي هذين الحديثين جاء الجواب بالأداة "إذا"، وفي هذا ردُّ على بعض

النحويين الذين قالوا إِنَّ الأكثر في جواب "بينما" يكون بـ "إذ"، ولا يأتي بـ "إذا"، وقال البخاري: (حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَا أَنَا عَلَى بئرٍ أَنْزَعُ مِنْهَا إِذْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ^(٨٢))، فالغالب أَنَّ يأتي في جواب "بينما"، وليس الكثير المطرد في كلام العرب، ومنه أيضاً قول البخاري: (حَدَّثَنَا أَبُو اليمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ"^(٨٣))، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ"^(٨٤))، وهذه رواية أخرى ومن رواية مختلفين عن الحديث الأول اتفقوا على هذه الزيادة، فتبين من هذين الأسنادين أَنَّ لفظة "إذ" أو "إذا" ليست من الرواية وإنما هي من قول النبي ﷺ، وفي هذه الروايتين ردٌّ على ابن الجوزي واللغويين الذين ذهبوا إلى أَنَّ "بينما" إذا جاءت "إذ" في جوابها لا يليها إلا الفعل، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا شَقِيقٌ سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: "بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ، إِذْ قَالَ"^(٨٥))، وقال أيضاً: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمُّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: "بَيْنَا أَنَا قَاعِدَةٌ أَنَا وَعَائِشَةُ، إِذْ وَلَجَتْ امْرَأَةٌ"^(٨٦))، وقال الإمام أحمد: (حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى وَحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ "بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ"^(٨٧))، وقال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ يَعْنِي ابْنَ شَدَّادٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ"^(٨٨))، وهذه رواية أخرى للحديث السابق اتفق الرواة على ذكر لفظ "بينما" مقرونا بـ "إذ"، والإثبات مقدم على النفي، وقال: (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا النَّاسُ فِي مَسْجِدٍ فُبَاءَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ أَتَاهُمْ آتٌ"^(٨٩))، ومما تجدر الإشارة إليه أَنَّ هذا الحديث قد رواه البخاري ومسلم، ولكن الإمام أحمد رواه من طريق التابعي الجليل وكيع وباقي السند نفسه، فقد اتفق هؤلاء

الرواية على إثبات لفظ "بيننا" مقرونا بـ"إذ"، فدلّ هذا على أنّهم لم يتصرفوا في الحديث بزيادة "بيننا"، فهذه الأحاديث النبوية الشريفة التي كثرت كثرة بالغة، فلا يمكن بأيّ بحال من الأحوال إنكارها، أو وصفها أنّها ليست من كلام النبي ﷺ، والتي ثبت صحة نقلها عن العدول المشهورين بالضبط، فقد نقلوا لنا هذه اللغة، والتركيب النحويّ، فكيف يسوغ للغويين أن يصفوا هذا التركيب أنّه من قول العامة أي: غير فصيح، وهذه جرأة منهم، وقد عرفنا بعضاً من أحوال هؤلاء الرواة أنّهم من العرب الفصحاء الذين عاشوا في عصور الاحتجاج اللغويّ، وأنّهم قد صرحوا بألفاظ تدل على أنّهم سمعوها من غيرهم، فأدوها على نحو ما سمعوه من غير تغيير بزيادة، أو نقص مثل قولهم: حدثنا أو أخبرنا أو سمعنا، فهذا يدل دلالة قاطعة على أنّهم لم يتصرفوا في ألفاظ الحديث، وقد يردّ لفظ الحديث النبويّ الشريف من عدة طرق يتفق فيه الرواة على هذا اللفظ على نحو ما تقدم ذكره، وفي هذا دلالة قاطعة على نفي ما ادعاه اللغويون من الزيادة من قبل الرواة، ولوسلمنا أنّ الرواة قد أدخلوا لفظة "إذ" أو "إذا" من تلقاء أنفسهم في جواب "بيننا"، فهذا أمر لا يُعاب عليهم هذه الزيادة، لأنّها زيادة مقبولة جاءت من طريق الثقة، ولأنّهم من الذين عاشوا في عصور الاحتجاج اللغويّ، ولم يروا فيه خروجاً عن كلام العرب وسننها.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض النحويين واللغويين لم يوافقوا ابن الجوزي ولا غيره من اللغويين الذين سبقوه كالأصمعيّ القول في منع اقتران جواب "بيننا" بـ"إذ" أو "إذا"، ولكنهم وصفوا خلو جواب "بيننا" من "إذ" أو "إذا" أنّه الأوضح والأكثر، ومن هؤلاء العالم اللغويّ ابن بري (٥٨٢هـ) الذي بيّن أيضاً فساد قول اللغويين وابن الجوزي الذين قالوا بجواز اقتران "إذ" أو "إذا" في جواب "بيننا" فقط، لأنّ "بيننا" تغير حكمها بدخول "ما" عليها كبعض العوامل النحوية إذا دخلت عليها "ما" الزائدة مثل "رُبّ" أبطلت عملها مثل "إذ" قال: (ذَكَرَ ابْنُ جَنِّي فِي إِعْرَابِ أَبِياتِ الْحَمَاسَةِ فِي بَابِ الْأَدَبِ فِي قَوْلِهِ: بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا... إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نَنْتَصِفُ قَالَ: إِذَا فِي الْبَيْتِ هِيَ الْمَكَانِيَّةُ الَّتِي تَجِيءُ لِلْمُفَاجَأَةِ؛ قَالَ: وَكَذَلِكَ إِذَا فِي قَوْلِ الْأَفْقَاهِ: (٩٠))

بَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى عَلَيَانِهَا... إِذَا هَوُوا فِي هَوَةٍ فِيهَا فَعَارُوا

فَإِذْ هُنَا غَيْرُ مُضَافَةٍ إِلَى مَا بَعْدَهَا كَإِذَا الَّتِي لِلْمُفَاجَأَةِ، وَالْعَامِلُ فِي إِذٍ "هَوُوا" قَالَ: وَأَمَّا إِذْ فَهِيَ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، وَقَدْ تَكُونُ لِلْمُفَاجَأَةِ مِثْلُ إِذَا وَلَا يَلِيهَا لَا الْفِعْلُ الْوَاجِبُ وَذَلِكَ نَحْنُ قَوْلِكَ: بَيْنَمَا أَنَا كَذَا إِذْ جَاءَ زَيْدٌ^(٩١): وقال أيضا: (وَقَدْ تَأْتِي "إِذْ" فِي جَوَابِ بَيْنَمَا كَمَا قَالَ حُمَيْدُ الْأَرْقُطِ: ^(٩٢))

بَيْنَا الْفَتَى يَخْبِطُ فِي غَيْسَاتِهِ... إِذْ انْتَمَى الدَّهْرُ إِلَى عِفْرَاتِهِ
.... قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا يُدُلُّ عَلَى فسادِ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ إِنَّ "إِذْ" لَا تَكُونُ إِلَّا فِي جَوَابِ بَيْنَمَا بِزِيَادَةِ "مَا"، وَهَذِهِ بَعْدَ "بَيْنَا" كَمَا تَرَى؛ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَسادِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ "بَيْنَمَا" وَلَيْسَ فِي جَوَابِهَا "إِذْ"... قَالَ: وَالْأَفْصَحُ فِي جَوَابِهَا أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ "إِذْ" وَإِذَا "وَقَدْ جَاءَ فِي الْجَوَابِ كَثِيرًا"^(٩٣)، وَفِي كَلَامِهِ نَظَرُ إِذْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْكَلَامِ كَثِيرًا اقترانها بـ"بينا"، وهذا حجة عليه لا له أليس كثرة هذه الشواهد توجب فصاحتها وصحة استعمالها؟ وأنها لم تخرج عن كلام العرب وسننها، ولا سيما قد رويت عن من لا ينطق الهوى، وأفصح من نطق بالضاد، وفضلاً على أن ابن بري نفسه احتج بصحة هذا التركيب بالحديث، إذ قال: (وفي الحديث: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل)^(٩٤)، وهو ما ذهب إليه بعض اللغويين كابن جني^(٩٥) (٣٩٢هـ)، كابن سيده^(٩٦) (٤٥٨هـ) والفيروزآبادي^(٩٧)، وقال الزبيدي^(٩٨) (١٢٠٥هـ): (يُقَالُ: بَيْنَا الْإِنْسَانُ سَاكِتٌ إِذْ انْفَضَّخَ)^(٩٩) فنقل هذا القول ولم ير فيه خروجاً عن كلام العرب، وأكد هذا بقوله: (وقد تكون للمُفَاجَأَةِ، وَهِيَ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ بَيْنَا وَبَيْنَمَا)^(١٠٠)، وقد ذهب إلى هذا الزمخشري^(١٠١) (٥٣٨هـ)، إذ قال: (وقد تقعان للمفاجأة كقولك: بينا زيد قائم، إذ رأى عمراً وبينما نحن بمكان كذا، إذا فلان قد طلع)^(١٠٢)، وابن يعيش^(١٠٣) (٦٤٣هـ)، إذ قال: (فقال بعضهم: هي للمفاجأة كما كانت "إذا" كذلك... فأما قوله: بينا نحن نرقبه... إلخ، فشاهدٌ على استعمالها بغير "إِذْ"، وهو الأفصح)^(١٠٤)، وذهب إليه أبو عبيدة^(١٠٥) (٢١٥هـ) إلى أنها زائدة، قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ^(١٠٦) (٣٢٨هـ): (وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ: فِيمَا تَعْنَقُهُ الْكَمَاةُ وَرَوْغُهُ، جَعَلَ مَا زَائِدَةً صَلَةً فِي الْكَلَامِ أَيْ: بَيْنَا يَقْتُلُ وَيَرَاوُغُ إِذْ قَتَلَ)^(١٠٧)، وهاهنا أمر الجدير بالإشارة إليه هو ابن الأَثْبَارِيِّ ذكر معنى البيت، فجاء بـ"إِذْ" في جواب "بينا"، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على أن هذا التركيب النحويَّ جارٍ وفاشٍ وسائغٌ في كلام اللغويين، فلماذا ينكره ابن الجوزي على العامة من الناس، وقد استعمله أرباب اللغة وخواصهم، وهو قول علاء الدين

الأريلي (٧٤٩هـ)، إذ أقرَّ أنَّ اقتران "إذ" في جواب "بينما" من كلام العرب خلافاً لمن أنكره من اللغويين^(١٠١)، وهو ما ذهب إليه المرزوقي (٤٢١هـ) من قبل، ولكن رأى أنَّ الأكثر خلو جواب "بينما" من "إذ" فقال: (فأما "بينما" فقد ذكر سيبويه خاصة أنَّ "إذ" تقع بعدهما ولم يذكر "إذا" تقول: بينما نحن نسير إذ أقبل زيد، وكثير من النحويين والأصمعيّ ينكرون هذا... وإذا رجعنا إلى الموجود فيما يختارونه هو الأكثر)^(١٠٢).

وعلى النقيض من ذلك نجد طائفة من اللغويين قد أجازوا هذا التركيب النحوي، ومنهم ابن السكيت (٢٤٤هـ) الذي نقل لنا أنَّ العرب قد تكلموا بهذه اللغة إذ قال: (حكى عن بعضهم... وقال: بينما هم في وجه إذ أشموا، أي: عدلوا)^(١٠٣)، وابن السكيت عرّف ممن عني بالتصويب اللغوي، وذهب ابن قتيبة (٢٧٦هـ) إلى أنَّ الأجود في اللغة ترك اقتران "بينما" إذ، ولكنه أجازَه على ضعف^(١٠٤)، وأشار ابن الحاجب النحوي (٦٤٦هـ) إلى العلة في دخول "إذ" في جواب "بينما" هي بقوله: (وجه دخول، "إذ" أنَّ يكون ظرفاً معمولاً للمفاجأة مثل "إذا" في قولك: خرجتُ فإذا زيدٌ بالباب، أي: فاجأته، أي: وجدته فجأةً أي: اتفاقاً، فيكون "بينما" أيضاً معمولاً لذلك أي: فاجأتُ طلوعَ فلانٍ في الوقت الذي بين الطرفين المذكورين على ما تقدم، إلا أنَّ فيه زيادة تقدير على حذفها، ومعلوم أنَّ حذفها أجرى وأقعد باعتبار زيادة التقدير ولذلك لم يستفصحه الأصمعيّ، ويقوي إثباتها أنَّ المتكلم قاصد إلى المفاجأة، وهي معنى مقصود، وإذا كان معنى مقصوداً وجب الإتيان بما يدل عليه وهو: "إذ وإذا"، ويجب حذف الفعل، لأنَّ "إذا" المفاجأة واجب حذف فعلها، فيرجع إثباتها بذلك من التقدير أحسن من الحذف والوجه أنَّ الوجهين سائغان، لأنَّه ثبت ذلك في لغتهم، فمن قصد إلى إثبات الفعل في ذلك الوقت من غير تعرض لمفاجأة حذفها، ومن قصد إلى معنى المفاجأة بالتعبير عنه أثبتها، فلا وجه إذن لترجيح أحد الأمرين على الآخر، لأنَّهما معنيان صحيحان يقصدان بمثابة قولك: خرجتُ وزيدٌ بالباب، وخرجتُ فإذا زيدٌ بالباب ولا شك إلا أنَّ البيت الذي أنشده الأصمعيّ جاء على حذفها، ولا دليل إذا ثبت الوجه الآخر، وثبت أنَّهما معنيان في ذلك على الترجيح)^(١٠٥)، وقد أجاد ابن الحاجب في هذا التعليل أيما إجادة، وخالف الأصمعيّ ومن ذهب مذهبه كابن الجوزي أنَّ استعمال "إذ" في جواب "بينما" جاء لمعنى في الكلام وهو غرض المفاجأة، وهي تحتاج لأداة تدل على هذا

المعنى، فجئ بـ"إذ" للدلالة على الفعل المحذوف في الكلام، وهو العامل في هذا الظرف، وقدره بـ"فاجأت"، فدخول "إذ" في هذا التركيب النحويّ وجهٌ صائبٌ وسائغٌ ومقبولٌ من الناحية النحويّة، ولا مسوغٌ لإنكاره إذ ثبت في الكلام الفصيح لاسيما حديث النبي ﷺ، فكلا الوجهين عند ابن الحاجب أي: الذكر والحذف معنى صحيح وفصيح لا فضل لأحدهما على الآخر في الفصاحة، وعليه لا مبرر لما ذهب إليه الأصمعيّ وابن الجوزي وغيرهما من اللغويين القائلين بفصاحة خلو جواب "بينما" من "إذ"، وأنّه من قول العامة، بل هو أسلوب فصيح لا تنقل شواهد فصحته عن شواهد خلوّه من "إذ"، ولا تنقل كثرة يكاد البحث يضيق بها، وقد تركناها خشية الإطالة وما ذكرناه كفاية على ما ذهبنا إليه، وابن الحاجب كان موفقاً في هذا القول إذ صوّب الوجهين، وإلى هذا ذهب أبو حيان النحويّ (٧٤٥هـ)، فهؤلاء النحويون أقرّوا بصحة جواز اقتران بينا بإذ أو إذا في جوابها، إذ أوجبوا هذا إذا كانت إذ أو إذا تفيدان معنى المفاجأة، قال أبو حيان: (ولا يكون للمفاجأة إلا بعد "بينما" أو "بينما"، وإذا كانت للمفاجأة، فالذي نختاره أنّها باقية على ظرفيتها الزمانية، وذهب بعضهم إلى أنّها ظرف مكان، وهي للمفاجأة كما قال بعضهم في "إذا" التي للمفاجأة، وذهب بعضهم إلى أنّها حرف للمفاجأة... ومجيء "إذ" بعد "بينما"، و"بينما" عربيّ مسموعٌ، فلا يلتفت لمن أنكره، والفصيح الكثير أن لا يؤتى بـ"إذ" (١٠٦)، وهاهنا أثبت أبو حيان أنّ هذا مسموع عن العرب، ولكنه رأى أنّ الفصيح الكثير أن يخلو جواب "بينما" من "إذ"، وفي كلامه نظر، إذ تقدّم قول ابن الحاجب أنّ التركيبين فصيحان، وقد ردّ الرضيّ (٦٨٦هـ) على اللغويين إنكارهم هذا التركيب الفصيح الذي تكلم به من اشتهر بالفصاحة مبلغاً عظيماً، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يوصف كلامه أنّه من قول العامة كأقوال سيدنا علي رضي الله عنه قال الرضيّ: (وقد تقع "إذ" و"إذا" في جواب: "بينما" و"بينما"، وكلتا هما إذن للمفاجأة، والأغلب مجيئ "إذ" في جواب "بينما"، و"إذا" في جواب "بينما"،... ولا يجيئ بعد "إذ" المفاجأة إلا الفعل الماضي، وبعد "إذا" المفاجأة إلا الاسمية... والكثرة لا تدل على أنّ المكثور غير فصيح، بل تدل على أنّ الأكثر أفصح، ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو من الفصاحة بحيث هو: "بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ" (١٠٧) ولما قصد إلى إضافة "بين" اللازم إضافته إلى مفرد إلى جملة، والإضافة إلى الجملة

كلا إضافة، على ما تقدم زادوا عليه "ما" الكافة، لأنّها التي تكفّ المقتضى عن الاقتضاء^(١٠٨)، ومنه قوله ﷺ: (بَيْنَا أَهْلُهَا مِنْهَا فِي رَحَاءٍ وَسُرُورٍ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ)^(١٠٩).

وها هنا أمر جدير بالإشارة إليه ذكره الرضي أنّ الأغلب في جواب "بينما" و"بينما" أن يكون بـ"إذ" أو "إذا"، وهو بهذا يخالف جمهور اللغويين الذين قالوا إنّ الأكثر أن لا تقترن بجوابهما، وأشار أيضاً إلى أنّ الفصحى في مقاييس النحويين ما ورد على ألسنة الفصحاء، وهل يشك أحد في فصاحة سيدنا عليّ ﷺ، فالمنهج القويم المستقيم أن تبنى الأحكام على كلام هؤلاء الفصحاء، لا أن يوؤل كلامهم بعيداً عن منهج اللغة الذي بنوا أسسَهُ وقواعد أصوله على كلامهم، فلا يسقيم أن يردّ كلامهم وفي كلام الرضي أيضاً نظراً، إذ ذكر أنّ الغالب في جواب "بينما" أن يكون بـ"إذ" وأن يكون الغالب في جواب "بينما" بـ"إذا"، وقد ذكرنا كثيراً من الأدلة التي تدلّ على أنّ الجواب قد جاء بـ"إذ" و"إذا"، فلا فرق بين الأداتين، فكلاهما تدلان على المفاجأة، ولكنني وجدت أنّ الغالب في جوابها جاء بـ"إذ" على خلاف ما ذهب إليه الرضي، ومن هذه الأدلة ما قاله سيدنا عليّ ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخُصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ وَالْغَنَى، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافَى إِذْ سَقَمَ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذْ افْتَقَرَ)^(١١٠)، ومنه قول القاضي الدينوريّ عن: (هَشَامُ بْنُ حَسَّانٍ قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ الْحَسَنِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزَارِقَةِ")^(١١١)، ومنه قوله: (خَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ...: بَيْنَا ابْنُ آدَمَ فِي الدُّنْيَا يُنَافِسُ فِيهَا قَرِيرَ الْعَيْنِ، إِذْ دَعَاهُ اللَّهُ بِقَدَرِهِ)^(١١٢)، فهذا قول من يُحتجّ ويُعتدّ بقوله، ولا يشك أحد في فصاحة الخلفية عمر الذي عاش في كنف البيت الأمويّ الذي عُرف بشدة نفوره وانزعاجه من اللحن، ومنه قوله أيضاً: (عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ سَلْمَانَ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ: "بَيْنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ؛ إِذْ سَقَطَتْ عَصَا")^(١١٣)، وقوله أيضاً: (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَشِيِّ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: قَالَ بَعْضُ وَلَدِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ رِدَاءً نَفِيساً، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ؛ إِذَا رَجُلٌ قَدِ اسْتَلَبَهُ")^(١١٤)، ومنه قوله أيضاً: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْلَةَ؛ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ بِالْأَهْوَازِ عَلَى دَابَّةٍ لِي، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيَّ رَجُلٌ")^(١١٥)، ومنه ما رواه الجاحظ (٢٥٥هـ): (بَيْنَا الشُّعْبِيُّ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ وَأَصْحَابِهِ يُنَاطِرُونَهُ فِي الْفَقْهِ وَإِذَا

شَيْخُ بَقْرِهِ^(١١٦)، ومنه قول الضحاك: (بَيْنَا مُعَاوِيَةَ بْنُ مَرْوَانَ وَاقِفٌ بِدِمَشْقَ يَنْتَظِرُ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى بَابِ طَحَّانٍ، وَحِمَارٌ لَهُ يَدُورُ بِالرَّحَى فِي عُنُقِهِ جُلْجُلٌ إِذْ قَالَ لِلطَّحَّانِ)^(١١٧)، ومنه قول الحسن لو هيب بن الورد: (بَيْنَا أَنَا أَذْرُ فِي السُّوقِ إِذْ أَخَذَ أَخَذُ بَقْفَائِي)^(١١٨)، ومنه ما رواه زيد بن عمر قال: (سَمِعْتُ طَاوَسًا يَقُولُ: "بَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ إِذَا دُفِعْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ فَتَنِي لِي وَسَادًا، فَجَلَسْتُ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَعْرَابِيٍّ")^(١١٩)، ومنه ما رواه: (بَيْنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَتَوَضَّأُ لَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرَ خَالِهِ وَالْغُلَامُ يَصَبُّ عَلَيْهِ إِذْ خَرَّ الْغُلَامُ مَيِّتًا)^(١٢٠)، وهاهنا ورد في القول جوابان، فمرة اقترن جواب "بيننا" الأولى بـ "إذا"، واقترن جواب الثانية بـ "إذا"، وفي هذا ردٌّ على الرضي الذي ذهب إلى أَنَّ الْأَغْلَبَ فِي جَوَابِ "بَيْنَا" بـ "إذا"، وَأَنَّ يَكُونُ جَوَابُ "بَيْنَمَا" بـ "إذا"، ومنه قول أبي الجناح الكندي عن أبيه، إذ قال: (إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ، وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ)^(١٢١)، وقال ابن قتيبة: (بَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجِ السُّلَمِيِّ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ)^(١٢٢)، وعن جماعة من بني أمية ممن كان يسير مع معاوية، إذ قالوا: (بَيْنَا مُعَاوِيَةَ لَيْلَةً يَسْمُرُ، وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، إِذْ ذَكَرُوا الزَّرْقَاءَ)^(١٢٣)، ومنه قول التابعي ابن المنكدر (١٣٠ هـ): (بَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ أُصَلِّي إِذْ قُلْتُ)^(١٢٤)، ومنه قول التابعي ابن عيينة (١٩٨ هـ): (بَيْنَا مُعَاوِيَةَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، إِذْ نَامَ)^(١٢٥)،

مما تجدر الإشارة إليه أَنَّ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ قَدْ انْسَاقَ وَرَاءَ دَعْوَى اللُّغَوِيِّينَ أَنَّ الْأَفْصَحَ وَالْأَكْثَرَ فِي الْكَلَامِ أَنَّ يَخْلُو جَوَابُ "بَيْنَا" مِنْ "إِذَا" أَوْ "إِذَا"، وَمِنْ هَؤُلَاءِ ابْنُ الْأَثِيرِ (٦٠٦ هـ) الَّذِي اشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ رَوَايَةً وَدَرَايَةً، إِذْ ذَهَبَ مَذْهَبُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ إِذْ قَالَ: (وَالْأَفْصَحُ فِي جَوَابِهِمَا أَلَّا يَكُونَ فِيهِ إِذَا وَإِذَا وَقَدْ جَاءَا فِي الْجَوَابِ كَثِيرًا)^(١٢٦) وَذَكَرَ لَنَا شَوَاهِدَ عَلَى هَذَا، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (بَيْنَا أَنَا أَقْرَأُ آيَةً فِي سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، إِذْ سَمِعْتُ)^(١٢٧)، وَمِنْهُ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: (بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ رَأَيْتُ امْرَأَةً)^(١٢٨)، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بَيْنَا يُكَلِّمُ إِنْسَانًا إِذْ انْدَفَعَ جَرِيرٌ يُطْرِيه)^(١٢٩)، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَيْنِيِّ إِذْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَفْصَحَ خُلُوهُمَا فِي جَوَابِ بَيْنَا، بَيِّنًا أَنَّهُ أَقَرَّ أَنَّ بَاءَ إِذَا جَاءَ كَثِيرًا فِي الْجَوَابِ)^(١٣٠)، وَمِنْهُمْ الْقَاضِي عِيَاضُ (٥٤٤ هـ)، إِذْ قَالَ: (الْأَفْصَحُ فِي جَوَابِهِمَا عِنْدَ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ تَصَحُّبَهُ "إِذَا" أَوْ إِذَا "الْفَجَائِيَّتَانِ وَالْأَفْصَحُ

عند غيره أن يتجرد عنهما^(١٣١)، والغريب في هذا القول أن القاضي عياض خالف جمهور اللغويين والمحدثين، فنسب هذا القول إلى الأصمعيّ بجواز اقتران جواب "بينا" بـ "إذ" أو "إذا" والمشهور عنه خلافه، ولعله وهم من النساخ، والغريب أيضاً سكوته على قول من قال إن الأفصح خلوه من "إذ"، و"إذا"، وعدم اعتراضه عليهم، فالواجب عليه أن يرد قولهم، ويقوا بفصاحة هذا لثبوتها في الحديث الصحيح، وهذا منهج المحدثين إثبات صحة استعمال ما ثبت صحته في النقل، ولا معول لما يقوله اللغويون والنحويون، وعلى نحو ما فعله الإمام شرف الدين الطيبي^(١٣٢) (٧٤٣هـ) في ردّه على ابن الأثير بعد قوله الآنف الذكر، إذ قال: (قال صاحب النهاية: ... الأفصح في جوابهما أن لا يكون فيه إذ وإذا، وقد جاء في الجواب كثيراً، وفي الباب: قال الأصمعيّ: لا يستفصح إلا طرحها في جواب بينا وبينما... وفيه نظر انتهى كلامه، فيقال: لا ريب أن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما" كأنا أفصح من الشاعر، وقد أتيا بـ "إذا" في الحديث، فحينئذ يكون العامل معنى المفاجأة في "إذا")^(١٣٣)، وقد ذكر ابن الأثير في موضع آخر إن الكثير من الناس يستعملونه مقرونا بجواب "إذ" وهذا دليل على صحته، لا على رفضه، فهذا الكلام حجة عليه لا له، إذ قال: (وكثير من الناس يتلقاها بـ "إذ"، يقولون: بينا زيد جالس إذ دخل عمرو)^(١٣٤)، وذكر أيضاً أنه من القليل: (جواب بينا أداة بـ "إذ"، وقل ما تستعمل في العربية)^(١٣٥)، فناقض نفسه، فكيف يكون من القليل؟، ولو رجعنا إلى كتابه المشهور والكبير: الأصول في أحاديث الرسول، لوجدنا الكثير فيه من هذا التركيب النحوي، ولا أدري كيف غفل عنها ابن الأثير، وقد جمعها بيده؟، وكذلك كتابه "شرح مسند الإمام الشافعي"، فقد وقف على بعض منها^(١٣٦) وكقوله: (قال الشافعيّ رحمه الله: أَخْبَرَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَافِعٍ عَنِ الثَّقَةِ أَحْسَبُهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَوْ غَيْرَهُ، عَنْ مَوْلَى لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ عُثْمَانَ فِي مَالٍ لَهُ بِالْعَالِيَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ إِذْ رَأَى رَجُلًا)^(١٣٧)، أليس يكفيه ما في السند حجة الإمام الشافعيّ؟ ومن ذكرهم من الثقات كالإمام الباقر عليه السلام (١١٤هـ)، وقال السيوطي: (ورد ابن الحاجب قول الأصمعيّ بأنّ المفاجأة معنى مقصود يجب عند قصدتها الإتيان بفعلها، أو بما يدل عليها من إذ وإذا، ولا يظهر فعلها معها، لأنّهما إذا كانتا للمفاجأة يجب حذف فعلهما،... والصواب عندي أنه إذا لم يكن الفعل مقترناً بكلمة المفاجأة أن يحكم باقتضاء بينهما، وإن اقترن

بها حكم بأنَّ المقتضى لها معنى المفاجأة... ومال ابن مالك إلى قول الأصمعيّ إذ قال: ويجيء إذا للمفاجأة، وتركها بعد بينا وبينما أقيس من ذكرها، لأنَّ المعنى المستفاد معها بتركها، وكلاهما مروى عن العرب نثرًا ونظمًا، قال: والمختار عندي الحكم بحرفيتها، أقول: يريد أنَّهما حرفان للمفاجأة^(١٣٨)، وقال الكرمانيّ (٧٨٦هـ): (والأفصح في جوابه أن يكون فيه "إذ" و"إذا" خلافاً للأصمعيّ)^(١٣٩)، وهاهنا خالف الكرمانيّ بعض المحدثين الذين ذهبوا إلى أنَّ الأفصح خلو جواب "بيننا" من "إذ" تبعاً لما قاله بعض اللغويين، وهذا من الأمر المستغرب من المحدثين، فكيف ساغ لهم أن يصفوا كلام رسول ﷺ الذي ثبت عنه بنقل العدول بغير الفصح؟، ويصفوا كلام غيره من دونه في الفصاحة بالأفصح، وهذه جرأة منهم، وقد رأى الإمام الكرمانيّ أنَّ كثرة الأحاديث التي ورد في سياقها مجئ "بيننا" مقرونا جوابها بـ"إذ" أو "إذا"، هي أحاديث صحيحة ثابتة وصريحة بصفة جواز استعمال هذا التركيب النحويّ، ولا سيما قد نطق بها أفصح العرب، ومن لا ينطق عن الهوى، وهو ما ذهب إليه جمهور المُحدثين وشرح الحديث النبويّ الشريف، إذ قال الدمامينيّ (٨٢٧هـ): (وفيه ردٌّ على الأصمعيّ حيث ادعى أنَّ الفصح تركُّ إذ وإذا في جواب بينا وبينما)^(١٤٠)، وقال أيضاً: (هو جواب "بيننا"، وقد اقترن بالفاء، والمعهود اقترانه بإذ أو إذا أو تجرده)^(١٤١)، وقال الشيخ يحيى الأنصاريّ (٩٢٧هـ): (وهي تتضمن معنى الشرط، ولذلك احتاجت إلى الجواب، فإن لم يكن في جوابها مفاجأة فهو العامل فيها وإن كان فيه ذلك كما هنا، وهو الأفصح)^(١٤٢)، وهنا يرى الأنصاريّ أنَّ جواب اقتران "بيننا" بإذ هو الأفصح، وبه قال الشيخ البرماويّ^(١٤٣)، وقال علي القاريّ (١٠١٤هـ): (وَيَجُوزُ دُخُولُ إِذٍ فِي جَوَابِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَيَجُوزُ تَرْكُهُ كَمَا فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ)^(١٤٤) وهو الصواب الذي تقتضيه الصناعة النحوية للأدلة الكثيرة، والتي لا يمكن النظر إليها على أنَّها من تصرف الرواة، وأنَّ رواته من الأعاجم فوقعوا في اللحن، وقد سقنا الشواهد الفصيحة والصحيحة التي تردُّ هذا القول، ورفض هذه الشواهد مكابرة من النحويين واللغويين وقلة بضاعة لعدم إحاطتهم باللغة إحاطة تامة، والواقع اللغويّ السليم هو الإذعان والانقياد لتلك الشواهد.

نتائج البحث

يمكن تلخيص أهم ما توصلنا إليه بالآتي:

١- نرى ابن الجوزي قد أخرج الحديث النبوي الشريف من دائرة الاحتجاج اللغوي بحجج واهية مفادها أن الرواة قد تصرفوا فيه بزيادة أو نقص فلا تبنى عليه قواعد اللغة وأصولها، فهو منقول إلينا بالمعنى لا باللفظ، وهذا ما دعاه لإخراجه من أصول اللغة، وهذا منهج غير سديد، ولا يقوم على أساس متين، فقد احتاط المحدثون في نقل الأحاديث عن الرواة إحاطة كبيرة، فلم يروا عن المشهورين بالكذب، أو من عُرفَ منه الإتيان بخوارم المروءة، وهذا المنهج قد خلا منه البحث اللغوي، فلم يشترط اللغويون تلك الشروط الصارمة، فلماذا أخرج ابن الجوزي الحديث النبوي الشريف، فلم يحتج به في جواز اقتران "إذ" بجواب "بيننا" على الرغم من إقراره بكثرة تلك الأحاديث، وهذا أمر مستغرب حقاً، لأن ابن الجوزي من الذين اشتغلوا بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية، فلا مسوغ لما قاله.

٢- ومن المستغرب أيضاً أن طائفة من المحدثين وشرّاح الحديث النبوي الشريف قد وافقوه في هذا الرأي، بل ذهب ابن لأثير إلى أن الأفصح في هذه المسألة خلو جواب "بيننا" من "إذ" أو "إذا" على الرغم من إقراره أنه قد جاء الجواب كثيراً في الحديث، ووصف اقتران "إذ" في جواب "بيننا" أنه من القليل في موطن آخر، وهذا تناقض ظاهر واضطراب كبير في البحث اللغوي، وهذا خطأ شنيع لامبرر ولا مسوغ له سوى أنهم قد انساقوا وراء دعاوى اللغويين والنحويين، فحكموا بالمقاييس، ولم يحكموا السماع فالمنهج اللغوي السليم لا يمكن أن يعدّ هذا التركيب النحوي من قول العوام، لأن شواهد رويت عن أرباب الفصاحة والبلاغة، فضلاً على ذلك رويت عن أفصح من نطق بالضاد، ولا ينطق عن الهوى رسول الله ﷺ، وعن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والذي اشتهر منهم بالفصاحة كثير كسيدنا علي رضي الله عنه.

٣- مما تجدر الإشارة إليه أن بعض اللغويين والنحويين قد صوّبوا وصحّحوا هذا التركيب النحوي بما نقلوه من كلام العرب الفصحاء كابن السكيت، وابن جني، وابن سيدة الأندلسي، أبي حيان، وفضلاً على ذلك فقد ردّ بعضهم على اللغويين الذين منعوا جواز استعمال هذا التركيب، ورأوا أنه أفصح، لأنه مروي مسموع في كلام العرب، ويمكن تأويل اقتران "إذ" في جواب "بيننا" على أنها حرف مفاجأة، فيستقيم الكلام.

٤- ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنّ جمهور المحدثين وشرح الحديث النبويّ الشريف قد أجازوا هذا التركيب النحويّ، ورأوا أنّ الأفصح في هذا هو اقتران "إذا" أو "إذا"، لأنّ الرسول ﷺ، والصحابه ﷺ أفصح من أبي عمرو بن العلاء والأصمعيّ وسائر اللغويّين لكثرة الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ بنقل العدول الضابطين الذين رووا ما سمعوه من غير زيادة ولا نقص، وهذا غالب الظنّ، والدليل على هذا أنّ ألفاظه قد ثبتت من أكثر من طريق، وهذا ما دعاني إلى ذكر أسانيد هذه الأحاديث لبيان أنّ تلك الألفاظ ليست من تصرف الرواة، وجلّ هذه الأحاديث من رواية اتفاق الإمامين الجليلين البخاريّ مسلم ﷺ التي تعدّ أحاديثهما من أصح الروايات، وذكرت بعضاً منها من رواية الإمام مالك بن أنس المتوفى (١٧٩هـ) ﷺ الذي دون كتابه "الموطأ" في عصر الاحتجاج اللغويّ، وقبل فساد اللغة، وفشو اللحن والعجمة.

٥- ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الشواهد التي ذكرتها في بيان صحة هذا الاستعمال هي للشعراء المحتج بكلامهم في قواعد اللغة وأصولها، فهم من الشعراء الجاهليّين كزهير بن أبي سلمى، والمرقش الأصغر، وعدي بن زيد العبادي، ومن الاسلاميّين حسان ابن ثابت، وكعب زهير، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، والقطاميّ، وفضلاً على ذلك ما روي عن فصحاء التابعين كالحسن البصريّ ﷺ، ومن الأمراء الفصحاء كعمر بن عبدالعزيز ﷺ والحجاج النخعيّ، وغيرهم كثير، فلا يشك اثنان في فصاحتهم وبلاغتهم.

Abstract

Al- Sheikh "The Chief" Ibn Al-Jauzy (H-597) was from the famous scientists who have attitudes in what was known as the common people (Lahin AL- Awam) .The was a deviation from the logic of the right language that was headed from the well-spoken Arab who have the pure language which is empty of any melody or the foreign languages .So he wanted in his book to stop at these deviations which were said by Arab and he pointed to the melody statement by (the speech of the common people) .Never theless, I stopped on some of his saying which I saw and noticed that he was not successful in what he had gone in the book .He was affected by some of lingual Arabs who lived in time of the lingual protest and made the rules and measures but they didn't rule the hearing which is considered the strong base that the linguists are depending on it to make the rules and bases .they didn't stop at the lingual inheritance and didn't get the completely using from it , so their rules came and were not accurate ,disordered and insufficient in some places.

The Key of research(Ibn Al-Jauzy)

الإحالات والمراجع

- ١ (حريث بن جبلة، أولعتير بن ليبيد العذريان، ينظر: شرح شواهد المغني، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ٤٥/١).
- ٢ (تقويم اللسان: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (٥٩٧) الدكتور عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص: ٨٣).
- ٣ (درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص: ٥٨).
- ٤ (درة الغواص، ص ٥٨-٥٩).
- ٥ (ينظر: تصحيح الصحيفة وتحرير التحريف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ) تحقيق: شريف الحسيني، وعصام عبدالرحيم، وعصام عبد العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ص: ١١٣).
- ٦ (ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر محمد ابن دريد الأزدي (٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، باب من النوادر ومن غيرها: ٧٦٦/٢).
- ٧ (المنتخب من كلام العرب: علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بكراع النمل (٣٠٩هـ)، المحقق: د. محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص: ٦٨).
- ٨ (ذيل الأمالي: أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦هـ) دار الآفاق، بيروت (د.ت) ص: ١٦٨).
- ٩ (العقد الفريد أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م، ٨٧/٤).
- ١٠ (عيون الأخبار: أبو محمد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (٢٧٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، ٢٣١/١، والعقد الفريد: ١٥٠/٨).
- ١١ (المحاسن والأضداد: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص: ١٦٦).
- ١٢ (بلاغات النساء: أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (٢٨٠هـ) شرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ١٣٥).

- ١٣) أمالي المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٤٣٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ذوي القربى، طهران، ط٢، ١٣٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢٧٣/١.
- ١٤) ديوانه، شرح ديوان زهير، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٩٢هـ) الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤م، ٢٤.
- ١٥) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، علق عليه مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢٣٥/٢.
- ١٦) الأمالي، أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦هـ)، دار الآفاق، بيروت، (د.ت.)، ١١٣/١.
- ١٧) الأمالي لأبي علي القالي: ٢٥٢/١.
- ١٨) أمالي اليزيدي: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك اليزيدي (٣١٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت.)، ص: ٧٣.
- ١٩) تصحيقات المحدثين: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ) المحقق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م، ٥١٩/٢.
- ٢٠) (الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م، ١٦٨/٢.
- ٢١) المحاسن والأضداد: ١٦٢.
- ٢٢) الحيوان: الجاحظ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٣م، ٤٠٨/٦.
- ٢٣) المحاسن والأضداد: ٢٩٨.
- ٢٤) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص: ٥٠٠.
- ٢٥) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (نحو: ١٦٨هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، (د.ت.)، ص: ٢٤٩.
- ٢٦) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأنصاري (٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٨٣م، مادة (إذا).
- ٢٧) لسان العرب: مادة: (إذا).
- ٢٨) ديوانه، عدي بن الرقاع (٩٥هـ)، تحقيق الدكتور نوري حمودي والدكتور حاتم الضامن وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٧م، ص: ١.
- ٢٩) ديوانه، زيد بن عدي العبادي (٣٥ق.هـ) تحقيق محمد جبار المعبيد، بغداد، ١٩٦٥م، ص: ١٢٠.
- ٣٠) ديوانه، كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني (٢٦هـ) صنعة أبي سعيد الحسن السكري (٢٧٥هـ)، شرح وتحقيق أنطوان القوال، دار الفكر العربي بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص: ١٦٣.

- (٣١) ديوانه، القظامي: عمير بن شبيب (١٣٠هـ)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، والدكتور أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م، ص: ٧٣.
- (٣٢) ديوانه، حسان بن ثابت الأنصاري (٥٤هـ)، شرحه وضبطه وصححه، الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص: ١٤٧.
- (٣٣) ديوانه: عمر بن أبي ربيعة المخزومي (٩٣هـ)، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٠م، ص: ١.
- (٣٤) المخصص: باب الأبناء، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيدة (٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- (٣٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص: ١٢٥١.
- (٣٦) في التصحيح اللغوي والكلام المباح، الدكتور خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة عمان، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ٤٢-٤٤.
- (٣٧) ينظر الاقتراح في أصول النحو: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) حققه: د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٩ / ١٩٨٩م، ص: ٦٧.
- (٣٨) صحيح مسلم: (١٦٤)، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (٢٦١هـ)، مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (٣٩) صحيح مسلم: (٢٧٤).
- (٤٠) صحيح مسلم: (٤٠٠).
- (٤١) ينظر الكليات: باب الألف والذال، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء (١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص: ٧٠.
- (٤٢) صحيح مسلم: (٥٣٧).
- (٤٣) صحيح مسلم: (٦٤٩).
- (٤٤) صحيح مسلم: (٨٦٣).
- (٤٥) صحيح مسلم: (٨٧٥).
- (٤٦) صحيح مسلم: (١٧٠٨).
- (٤٧) صحيح مسلم: (١١٤٩).
- (٤٨) صحيح مسلم: (١٦١٠).
- (٤٩) صحيح مسلم: (١٧٥٢).
- (٥٠) صحيح مسلم: (١٧٦٥).

-
- ٥١) صحيح مسلم: (٢٠٣٨).
- ٥٢) صحيح مسلم: (٢٢٥٩).
- ٥٣) صحيح مسلم: (٢٣٩١).
- ٥٤) صحيح مسلم: (٢٣٩٥).
- ٥٥) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (٢٥٦هـ) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٣م، رقم الحديث: (٤).
- ٥٦) صحيح البخاري: (٢٩٨).
- ٥٧) صحيح البخاري: (٤٠٣).
- ٥٨) صحيح البخاري: (٤٤٤٨).
- ٥٩) صحيح البخاري: (٤٩٩٣).
- ٦٠) صحيح البخاري: (٢٤٠)، و (٣١٨٥).
- ٦١) صحيح البخاري: (١٨٤٩)،
- ٦٢) صحيح البخاري: (١٨٥٠).
- ٦٣) صحيح البخاري: (٢٣٦٣).
- ٦٤) صحيح البخاري: (٢٤٦٦).
- ٦٥) صحيح البخاري: (٣٠٩٤).
- ٦٦) صحيح البخاري: (٣٢٤٢).
- ٦٧) صحيح البخاري: (٣٤٦٦).
- ٦٨) صحيح البخاري: (٣٤٧١).
- ٦٩) صحيح البخاري: (٣٥٩٥).
- ٧٠) صحيح البخاري: (٤٥٩٨).
- ٧١) صحيح البخاري: (٤٦٨٥).
- ٧٢) صحيح البخاري: (٤٧٢١).
- ٧٣) صحيح البخاري: (٤٨١٥).
- ٧٤) صحيح البخاري: (٣٨٥٦).
- ٧٥) مسند الإمام أحمد: (٦٩٠٨)، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) المحقق شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٧٦) صحيح البخاري: (٤٩٣١).
- ٧٧) صحيح البخاري: (٥٤٤٤).

٧٨) صحيح البخاري: (٥٧٩٠).

٧٩) صحيح البخاري: (٣٣٥٨).

٨٠) صحيح البخاري: (٦٥٨٧).

٨١) صحيح البخاري: (٦٧٠٤).

٨٢) صحيح البخاري: (٧٠٢٥).

٨٣) صحيح البخاري: (٦٠٢٦).

٨٤) صحيح البخاري: (٣٤٤١).

٨٥) صحيح البخاري: (٧٠٩٦).

٨٦) صحيح البخاري: (٤١٤٣).

٨٧) مسند الإمام أحمد: (٩١).

٨٨) مسند الإمام أحمد: (٣١٩).

٨٩) مسند الإمام أحمد: (٤٧٩٤).

٩٠) ديوانه، صلاة بن عمرو، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صححه وحققه عبد العزيز

الميمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص: ١١.

٩١) لسان العرب، مادة (ألا).

٩٢) لسان العرب، مادة (ألا).

٩٣) لسان العرب، مادة (بيننا).

٩٤) لسان العرب، مادة (الباء).

٩٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: باب الهاء والجيم، أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيدة)

٤٥٨هـ) المحقق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٦) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد الحسيني المرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)

، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د.ت): مادة (فضخ)، وينظر: ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق

بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤

هـ/ ٢٠٠٣م، ٤٤٧/٣.

٩٧) تاج العروس: مادة (إذ).

٩٨) المفصل في صنعة الإعراب: جار الله أبو عمر محمود بن القاسم الزمخشري (٥٣٨هـ)، المحقق

د. علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص: ٢١٤.

٩٩) شرح المفصل، أبو البقاء يعقوب بن علي المعروف بابن يعقوب (٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل

بديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م، ١٢٣/٣.

- ١٠٠) خزنة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م، ٧٤/٤.
- ١٠١) ينظر: جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، الشيخ علاء بن علي الإربلي (٧٤٩هـ) تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م، ص: ٤٣٥.
- ١٠٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص: ١٢٥٢.
- ١٠٣) إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٩ م، ص: ١٩١.
- ١٠٤) ينظر: أدب الكاتب باب ماء فيه لغتان واستعمل الناس أضعفهما: أبو محمد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م، ص: ٤٢٥.
- ١٠٥) الأمالي النحوية لابن الحاجب: أبو عمرو جمال الدين بن عثمان المصري المعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان صالح مصطفى، قطر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م، ٣٤٣/١.
- ١٠٦) ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م، ١٠٤٥/٣.
- ١٠٧) نهج البلاغة، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف الرضي (٤٠٦هـ) شرح الشيخ محمد عبدة، دار البلاغة، بيروت، (د.ت)، ٢٢/١.
- ١٠٨) شرح الكافية: الشيخ محمد بن الحسن رضي الدين الاسترآبادي (٦٨٦هـ) تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م، ٣/١٩٥-١٩٦.
- ١٠٩) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م، ٧٣/١.
- ١١٠) نهج البلاغة: ٧١/٤.
- ١١١) المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري (٣٣٣هـ) حققه أبو عبيدة بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م، ٩٧/٤.
- ١١٢) المجالسة وجواهر: ٣٦/٥.
- ١١٣) المجالسة وجواهر العلم: ٣٧٠/٥.
- ١١٤) المجالسة وجواهر العلم: ٤٥٦/٤.
- ١١٥) المجالسة وجواهر العلم: ١٧٨/٥.

- (١١٦) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ هـ / ١٩٨٨ م، ٣/١٤٨.
- (١١٧) البيان والتبيين: ٢/٢٦١.
- ١١٨ البيان والتبيين: ٣/١٧١.
- ١١٩ العقد الفريد: ٤/٨.
- (١٢٠) البيان والتبيين: ٣/١٢١،
- (١٢١) العقد الفريد: ٤/١١٣.
- (١٢٢) عيون الأخبار: ١/٢٦١.
- (١٢٣) تعليق من أمالي ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) المحقق السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، قسم التراث العربي، ط ١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م، ص: ٢٠٣.
- (١٢٤) حسن الظن: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ) المحقق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ١/١١٣.
- (١٢٥) حلم معاوية، ابن أبي الدنيا، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ١/٢٣.
- (١٢٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ١/١٧٦.
- (١٢٧) النهاية: ١/١٧٩.
- (١٢٨) النهاية: ٢/١٣١.
- (١٢٩) النهاية: ٤/٩٧.
- (١٣٠) ينظر: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: ٣٧/٧، أبو محمد محمود بن أحمد العيني (٨٥٥ هـ)، ياسر إبراهيم، وزارة الأوقاف، قطر، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- (١٣١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٥٤٤ هـ)، الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ١/١٥٧.
- (١٣٢) شرح مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي (٧٤٣ هـ)، اعتنى به محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ٢/٤٢١.
- (١٣٣) الشافي شرح مسند الشافعي، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦ هـ)، المحقق: أحمد بن سليمان، وياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ١/٢٧٨.

- ١٣٤) الشافي شرح مسند الشافعي: ١/٤٠٠.
- ١٣٥) ينظر: الشافي شرح مسند الشافعي: ٤/١٠٠.
- ١٣٦) مسند الشافعي: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس (٢٠٤هـ) رتبته سنجر بن عبدالله الجولي (٧٤٥هـ) تحقيق: ماهر ياسين، شركة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م، (٣٩٠).
- ١٣٧) الشافي شرح مسند الشافعي: ٤/٢٠٧.
- ١٣٨) عقود الزبرجد على مسند الإمام احمد، جلال الدين السيوطي، حقه: د. سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ١/٢٧٠-٢٧٢.
- ١٣٩) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف شمس الدين الكرمانلي (٧٨٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م، ١/٤٣.
- ١٤٠) مصابيح الجامع: محمد بن أبي بكر بدر الدين المعروف بالداميني (٨٢٧هـ) تحقيق نور الدين طالب، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م، ١/٤٥-٤٦.
- ١٤١) مصابيح الجامع: ١/٤٠١.
- ١٤٢) منحة الباري شرح صحيح البخاري: أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق: سليمان بن دريع، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م، ١/٩٨-٩٩.
- ١٤٣) ينظر: اللامع الصبيح شرح الجامع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم البرماوي (٨٣١هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م، ١/٦٥-٦٦.
- ١٤٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الشيخ علي بن سلطان محمد أبو الحسن الملا القاري (١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م، ١/٥١.